

دمية القصر

قلت : كان والد أبي نصر هذا نديم العميد أبي نصر بن مشكان وعندليب مجلسه ينازعه الكؤوس على السعادة وينظم له طرفي الأنس بين القضب والوسادة . وكان كلامه يميل إلى الاقتباس ولا يفارق شفاهه إلا بعد طول المكاس كمحابس ماء الورد لا يكاد يوجد به لضيق الحلق فيتردد فيها تردد أنفاس المخنوق . ثم إذا اندفع في صياغة الألحان أنشط بنانه عقال اللسان . فأدى على أحسن هيئاتها الأغاني وملأ من طيب سماعه الأسماع لما يحقق الأمانى . ويشبه البشائر والتهاني ويبدو الإنشاء وهو الذي يزيد في الخلق ما يشاء . وزعم بعض المفسرين أنه أراد بزيادة الخلق طيب الخلق . وزعم آخرون أنه عنى بها الحسن في الوجه وهذا أيضاً مستنبط على الوجه . وادّعى أعلم بالصواب وعنده العلم بما في أم الكتاب . الشيخ الإمام أبو بكر العبداني .

كاتب ملك أعنة الكلام الرزين وباهي برقوم أقلامه نقوش الصين متصون في نفسه متميز عن أبناء جنسه . وكتب في ديوان الرسالة والوزارة للشيخ أبي القاسم الجويني بخط كأنه خط الغالية على خذ الغانية . وعاش بين الوجاه طويل الباع عريض الجاه . حتى أثرت أفاويف المشيب في ذؤابته ودعاه الداعي الذي لا بد من إجابته ونقله إلى دار كرامته . فمما أنشدني لنفسه قوله من قصيدة نظامية :

عندي إذا برق العقيق تلسنا ... وأنساب في حضن الدجى أرق السننا .
شوق إلى العوجاء يخلع أضلعي ... خلجاً ويترك مهجتي نهب الضنى .
معنى خلعت عليه ريعان الصبا ... وهصرت في أفنانه غصن المنى .
تثني الشمول معاطفي فكأنني ... فنن عرته الريح وهنا فانثنى .
فالآن فوفت الخطوب ذوائبي ... وجنى المشيب من الشبيبة ما جنى .
وبنفسى الطيف الذي اكتست الفلا ... عبقاً بمسراه وسلم موهنا .
ماذا على الرشأ الغرير لو أنه ... لما أساء إلي دهرى أحسنا .
الفقيه أبو عبد الرحمن عمر بن الحاكم .

الزاهد أبو سعد محمد بن محمد المعروف بالأشقر . مقطعاته حلوة كالشهد وإن كانت مقصورة على مر الزهد . فمنها ما أنشدنيه الأديب يعقوب قال : أنشدني لنفسه قوله :

عجباً يعجبون برأيهم ... وأرى بعقلهم الضعيف قصورا .
هدموا قصورهم بدار بقائهم ... وبنوا لعمرهم القصير قصورا .
ومنها أيضاً قوله :

عمري قصير وما قدمت من عمل ... زاك وما قضيت من وطري .
وأتعبتني دنيا ما لها خطر ... يظل من حرصها ديني على خطر .
وقوله : .

المرء يسعى لدنياه ويزجره ... سوط الزمان ويدنيه من الأجل .
وليس يسعى لما فيه النجاة له ... كأنه آمن فيها من الوجل .
وقوله : .

إلهي حاجاتي إليك كثيرة ... وأنت بحالي عالم وخبير .
وأنت رحيم بالبرية فاقضها ... جميعاً وذا سهل عليك يسير .
ذنوبي ذنوبي حط عني ثقلها ... فقد أنقصت ظهري وأنت غفور .
وقوله : .

إلهي إن لم تشفني فمن الذي ... شفاني وعافاني سواك من السقم .
ومن يكشف الضر الملم بساحتي ... ويقضي ديوني حين يبهظني غرمي .
سواك إله العالمين فإنهم ... جميعاً أبوا إلا التواطى على الظلم .
متى ما بدت لي حاجة وذكرتها ... لغيرك يا مولاي خبت على رغمي .
فها أنا عبد مذنب جئت تائباً ... لتصلح لي أمري وتغفر لي جرمي .
وأنشدني له في صفة الأوحال بنيسابور : .

حال بيني وبين كل حبيب ... وأخ لي موانس أو حال .
فارقوني فليت شعري عنهم ... أعلى عهدنا هم أو حالوا .
وله في الحكمة : .

رب منهوم حريم ... كشف الحرص قناعه .

وفقير قانع بال ... قوت تغنيه القناعة .

وله أيضاً في ذم أبناء الزمان : .

ظهر الكذب في الورى والنفاق ... فليسوق النفاق فيهم نفاق .
وأرى البله كالحمير صدوراً ... وبدنياهم أولي الفضل فاقوا .
هم نيام وهم سكارى جميعاً ... فإذا عاينوا اليقين أفاقوا